لُبْنَى

شعر

محمد جمال صقر

(كانَتْ هذِه القصائدُ بيْنَ عامَيْ ثَمانيةٍ وثمانينَ وثلاثةٍ وتِسْعينَ وتِسعمائة وألف لميلاد سيدنا المسيح عليهِ وعلى رسولنا الصلاة والسلام)

بسم الله المَولى الأعلى . مَوْلى الأُدباء البُلَغاء الشُّعراء المُسْتَثْنَيْن . مَوْلاى . أَحْمَدُ الله العلىّ كما ينبغى لجلال وَجْهِهِ وعظيم سلطانه ، حَمْداً لا يَبْلى جَدِيدُهُ ، ولا يُحْصَى عديدُه ، ولا تُبْلَغُ حُدوده ، وأصلى وأسلم على محمد النبى الأمى العربى ، أفصح العرب طُرًّا ، الذى سَمَحَ له البيانُ الأبىُّ ...

[رَبِّ أَعوذُ بِكَ مِنَ العِيِّ والحَصَر][1] .

أَمّا بَعْدُ ؛

فقد حَدّثنى أبو مِذْوَدٍ[٢] أَنّ رواةَ خَبَرِ قَيْسِ لُبْنى قالوا :

(... فَلَمّا ارْتَحَلَ قَوْمُها اتّبعها مَلِيًّا ، ثُمّ عَلِم أَنَّ أَباها سيَمْنَعُه مِنَ المسيرِ مَعَها ، فَوَقَفَ يَنْظُرُ إِلَيْهم ويبكى حتّى غابوا عَنْ عَيْنِهِ فكرّ راجعاً ، ونَظَرَ إلى أَثَرِ خُفِّ بَعيرها فأَكَبَّ عَلَيْه يقبّله ورَجَع يقبِّلُ مَوْضِعَ مَجْلِسِها وأَثَر قَدَمَيْها ، فلِيمَ عَلَى ذلك وعنّفه قَوْمُه على تَقْبيلِ التُّرابِ ؛ فقال :

وما أَحْبَبْتُ أَرْضَكُمُ ولكنْ ... أُقَبِّلُ إِثْرَ مَنْ وَطِىءَ التُّرابا
لَقَدْ لاقَيْتُ مِنْ كَلَفِى بِلُبْنى ... بلاءً ما أُسِيغُ به الشَّرابا
إذا نادى المُنادِى باسْم لُبْنى ... عَيِيتُ فما أُطيقُ لهُ جَوابا)[٣].

فَأَيَّتُها القَصائدُ ...
لا بأْسَ عَلَيْكِ ؛ فَلْتَذْهَبى منّى قُرْباناً
إلى (لُبْنىٰ) وعُشّاقها ...

وكتب أبو بَراء
محمد جمال صقر
عفا الله تعالى عنه !
منوف ـ مجلس أبى مِذْوَد[٤]
فى ٢١ رجب ١٤١٤هـ ـ ٣ يناير ١٩٩٤م

مِنْ بَوْحِ الرَّبِيعِ بنِ خَيْثَمٍ[٥]

(قالت بنتُ الربيع بن خَيْثمٍ له : مالى أَرى النّاسَ ينامون وأَنْتَ لا تَنامُ ؟ فقالَ : إنّ أَباكِ يخافُ البَيات)[٦]

تَخِذْتُكَ يالَيْلُ مَجْلىً كِفاتا[٧]
وأَنْتَ تَغُولُ رَجائى فَوَاتـا
غَدَرْتَ بصُحْبَةِ عُمْرٍ نَشيطٍ
فأَبْدَلْتَنِى منُه عُمْراً مَواتـا
فياحُسْنَ (لُبْنَى) تَجَلّ تَكَشَّفْ
لِتجْلُوَ لى مِنْ مَوَاتى حَياةَ

وتُبْدِلَنى لِرَجائى وخَوْفِي
وعِشْقِىَ مِنْ بَعْدِ مِلْحٍ فُراتا
بُنَيَّةُ ، مالَكِ تَبْدِينَ وَلْهى
علىّ ولم أَغْدُ بَعْدُ رُفَاتا ؟
أَرَى الناسَ يا أَبَتا نائِميـنَ
وعَيْنُكَ دَوْماً تَعافُ السُّباتا
أأَدْرَكْتِ ! وَيْلاهُ ، عُودِى وَنامِي ؛
[فإنَّ أَباكِ يَخافُ البَياتا]

* * *

تَرْجَمَةٌ لعاشِقٍ مِنْ عُشّاقِ (لُبْنَى)[٨]

إشْعالٌ : اَلْنفـــوسُ اغْتـــلاءْ
والقُلـــوبُ امتـــلاءْ
والعيـــونُ اجْتـــلاءْ
وقافلةُ النُّورِ والنار فى هذه البِيدْ
نُجـومٌ بجوٌ السَّمـــاءْ
وناقَتُهُ بالمُقَدَّمِ مأمورةٌ
فهْـى تَعْـرِفُ بالـحُبِّ
أَيـن تكـونُ الإقامـــةُ
أَيـن يكــون البنـــاءْ

وهْى تعـرفُ بالبُـغْضِ
كيفَ تكونُ الإشاحَـةُ
كيـفَ يكـونُ العَـداءْ
وناقَتُـــهُ قَدْ أَقـــامتْ
إقامتُها أَنَّ هذا المكانْ
مكـــانُ البِنـــاءْ
فكـــانَ البِنـــاءْ
العُيـــونُ اجتـــلاءْ
والقلـــوبُ امْتـــلاءْ
والنُّفـــوسُ اعْتـــلاءْ

* * *

اشْتعالٌ : خَلِّ عَنّى يا زَيْفُ ، كَمْ تتجنّى
كانْ عِنْدِى النَّهُار كاللَّيْلِ سِجْنا
حَجَبونى بألْفِ ألْفِ حِجابٍ
زمَّلونى جُبْنًا وكَيْدًا وضِغْنا
نَصَحُونى : إنّ الخُرُوجَ طَرِيقٌ
أَسْوَدُ البَدْءِ أَحْمَرُ الخَتْمِ أَضْنى
مَنْ تُرى يا اسْوِدادُ يحفظُ بَدْئي
كادَ بَدْءُ الطَّرِيقِ فى الخَتْم يَفْنى
ولأنّى قَدَرْتُ نَفْسِيَ قَدْرًا
فَوْقَ ما تَرْتَقِي النُّفوسُ وتَغْنى

يَسَّرَتْ لى الدُّروبُ كُلَّ عَسيرٍ
جَعَلَتْنى فَوْق الأَعاجيبِ وَزْنا
آهِ يا غايةَ المَسيرِ استَبينى
أإذا سِرْتُ تَستزيدينَ بَيْنا ؟!
رُبّما تأْكُلُ الخُطوراتُ مِنّى
عَزْمةً عَزْمةً فأَقْتاتُ جُبْنا
سِرْتُ دُونَ القَبيلِ فى الدَّرْبِ وَحْدى
دُونَ زادٍ إلا مِنَ النُّور خِدْنا
بُلَغٌ مِنْ عُجالة الرَّكْبِ عِنْدى
خَلَّفوها وَيَمَّموا شَطْرَ (لُبْنَى)

عَشِقُوها في مَهْدِهِمْ ثُمَّ شَبُّوا
كلُّهُمْ نَحْوَها رَحيلٌ مُعَنَّى
أَيُّها الرَّكْبُ ، لَسْتُ أَنْقَصَ عِشْقًا
غير أنّي مُقَيَّدُ النَّفْس غَبْنا
ما احتيالى وألفُ ألفِ حجابٍ
حول نفسى والعجزُ يَغْتالُ أَمْنا ؟
آهِ يا وحشةً وَقَيْداً وكيداً
ذبتُ في مَحْبِسِي نِفاراً فَظَعْنا
هَزَّنى الشَّوْقُ فانفجرتُ شُعاعاً
يحطِمُ القَيْد يعزِف الموتَ لَحْنا

انفتحْ يا طريقُ فيَّ حياةٌ

تئِدُ الموتَ تعبُرُ الغَيْبَ مَعْنى

أيُّها الركبُ ، جَلَّ شوقى عن الضَّعْفِ

وجلَّت (لُبْنى) عن الوَصْف حُسْنا

لهواها كُنّا وفيه طَرَدْنا خَيْلَنا

نَقْتفِى الرُّسُومَ لِنَهْنا

حدّثوها عنّى وعن حُسن ظَنّى

صار عندى الظلامُ كالنُّور حِصْنا

* * *

ثَــوْرَةٌ(٩)

عِنْدما اخْتَـرْتُ حَبيبِــى
لَمْ أَكُـنْ أَعـرِفُ قَدْرَهْ
غيَــرِ سِيمـــاءِ جَمـــالٍ
مثلَمـــا تفتـــنُ زَهْـــرَهْ
مثلَمـــــا تُشرِقُ شمسٌ
حولَهـا مــاءٌ وخُضْــرَهْ
ثُمّ أَدْركتُ فأكْبرتُ
ومــا أنكـرتُ سِحْــرَهْ

إنّـه في الـُّروح شَفَّتْ
وصفَتْ مِنْ غَـيْر كُدْرَةْ
فتـوافَقْنـــا ائْتَلَفْنـــا
وابتـدا عُمــرىَ عُمْــرَهْ
إنّـه في الظَّـرْفِ يَحْلُـو
دائمــًا يُبْـدعُ شِعْــرهْ
ظَـرْفُـه الشِّعْـرُ اعْـترانى
فـاعـتَرَت رُوحــىَ ثَوْرَهْ
ثُرْ عَلَى مَوْتِكَ يامَوْتانُ
إنّ العُمْــــــــرَ مَرَّهْ

وابتدتْ تعصِفُ بِـــى
ثَوْرةُ الإحيـاءِ جَهْـــرَهْ
عَصْفَـةٌ تُشْعِــلُ حُبِّـى
عَصْفَةٌ تكشِفُ أَمْـــرَهْ
عَصْفَـــةٌ جالَتْ وصالَتْ
لا يكُـــنْ حُبُّكَ فِكْـــرَهْ
فتجاوَزْتُ مِنَ الفِكْـــرِ
إلى الشُّكْـــرِ ، فَضَرَّه !

* * *

مُكْحُلَةٌ(١٠)

تَأَمَّلِي ما كِدتُ أَنْ أُجملَهْ
اسْمُكِ واسْمِي مَنَعا الأَسْئِلَهْ
نَقَشْتُنا وَشْماً جَميلاً ، فَقَدْ
تُبلغ عَنّا هذه المُكْحُلَهْ
ماذا سَتحِكْي ؟ آهِ مّما بِها
حُروفُ إِسْمَيْنا لَظىً مُشْعَلَهْ

اَلْفاءُ فاحَتْ كَشَفَتْ قِصّةً
مَضْمونُها دَمْعُ دَمٍ شكَّلَهْ
والميمُ مَهْما سَتَرَتْ ، أَظْهَرَتْ
أكثَر ما تَحْتالُ كَيْ تُغْفِلَهْ
حُروفُ إسْمَيْنا غَدَتْ (شُفْرةً)
تُنْطَقُ للإسْرارِ بالمُشْكِلَهْ

* * *

اخْـتِراقانِ(١١)

[مَكَّنْتُ سَيْفي في مَجالِ وشاحِها
ومَدامِعِي تَجْرِي على خَدَّيْها
دَيكُ الجِنّ

أوَّل : صَلّى فإنّكِ لَمْ تُصَلّى
وَارْعَىْ إلَهكِ أَنْ تَضِلّى
وَتَقَرَّبِي لِلّهِ بِى
فَشَفاعَةُ القُرْبانِ شُغْلِى
واسْتَغْفِرِينى ، عَلَّنى
أَحْنُو عَلَيْكِ بِبَعْضِ فَضْلِى
أَدْمَنْتِ مَعْصِيَتِى
فكَيْفَ تَرَيْنَ عِنْدَ الجَهْلِ عَقْلِى
أَشْعَلْتُ مَقْدِرَتِى
فَلا تَقِفِى أَمامَ طَرِيقِ جَهْلِى !

* * *

ثانٍ : كَأَنِّى أَخْلَعُ جِلْدِى

بَدَوْتُ

فَأَحْسَسْتُ أَنّ المكانَ يُحاصِرُنى

والزَّمانَ يُنازِعُنى نَفْسَهُ

لا يمرُّ بغَيْرِ بقاياى

حِينَ قَتَلْتُكِ

إنِّى تَحَجَّرْتُ

لَمْ يَعُدِ الصَّبْرُ يُحيِي مَواتى

ولاعَرفَ النُّور كَيْفَ يَبُلُّ صَداى

فلَيْسَ الزَّمانُ زَمانى

وَقَدْ لَفَظَتْنِي الأَماكِنُ فى

هُوَّةٍ يَتَصايَحُ فيها الهُمُودْ

وحِينَ قتلتُكِ

أَشْعَلَ قَلْبى نَزيفُ دَمِكْ

كما يُشْعِلُ الثَّوْرَةَ المُسْتَنِيمةَ رَعْدُ النَّشِيدْ

فأَحْرَقَنى بِهَشِيْمِي ونارِهْ

* * *

عَـوْرَةٌ(١٢)

أَحَبَّنِـــى ، وكرِهْتُـــــهْ
وجاءَنِـــى فَـطَـرَدْتُـــهْ !
لأنّـــه المَـكْـرُ شَخْصــاً
سَبكُ الأَخاديعِ سَمْتُـــهْ
يـــا سّيـــدى المكْـــرَ
هلّا امْتَكَرْتَ شيئاً جهِلْتُهْ
عرفتُ حبَّكَ ، لكـــنْ
يا لَيْتَنِـــــى ما عَرَفْتُـــهْ

فى ثَوْبِهِ البُـغْضُ يَبْـدُو
مِنْ عَيْنِـهِ قَدْ لَمَحْتُــهْ
مِنْ لَفْظِـــهِ يَتَجَلَّــــى
بَيْتُ الدَّعــاراتِ بَيْتُــهْ
يا عَوْرَةَ اللَّفْـظ ، غَطِّى
وإنْ ستـــرتِ كَشَفْتُــهْ
لو كانَ حُبُّكَ يا مكرُ جَنَّةً
لَهَجَرْتُـــــــــــهْ
أَوْ كانَ شِعْراً بَرَدُّونِيًّـا
لكُنْـــتُ صَمِمْتُـــــهْ (١٣)
فكيـفَ وَهْــو دُخـــانٌ
مِنْ غَيْرِ نارٍ خُنِقْتُـهْ ! (١٤)

قَلِقَــةٌ(١٥)

قال إمامنا أبو محمد مصطفى صادق الرافعي : (ولَفْظُ الحُبّ نفسُه لِصٌّ لُغَوِىٌّ خبيثٌ يَسْرِقُ المعانى التى ليسَتْ له ويُنْفِقُ مّما يَسْرِق)(١٦).

حَبائِبى مُنْذُ كنتُ أُربعةٌ
أُسْلَمْننى للمَعِيشة القَلِقَهْ
بَدَأْنِنى كائنًا بلا سِمَةٍ
خَتَمْنَنِى بالملامح الأَرِقَهْ
خرجتُ من هذه لِتُدْخِلنى
الأُخرى إلى مَكْنوناتها الزَّلِقَهْ

أَزْلَقُ فى طىٍّ ما تُكِنُّ فلا
أَبْرَحُ إلاّ إلى هَوَى عَبِقَهْ
وعَبْقُها لازمٌ وذو مِقَةٍ
يَلْصَقُ بى كالوَطاوِطِ الشَّبِقَهْ
أَعْبَقُ كُرْهاً وربّما ذَهَبَتْ
نفسى لأُخْرى للسِّحْر مُخْتَلَقَهْ
حبائبى كالفُصُول دائبـةً
حبائبى كالفُصول مُفْتَرِقَهْ

* * *

حَبيبةٌ كالشِّتاءِ ، باردةٌ !
ألبَسُ منها الملابِسَ الصَّفِقَهْ
فَضِلّةً أُرْتجى لِتَفْهَمَنى
تجهَلُ فى الحُبِّ نارَهُ الحَرِقَهْ
لقيتُها مّرةً قد اشْتعلَتْ
برداً وأبدت شعائِرَ الصَّعِقَهْ
سيّدتى ، آسِفٌ سأَلْبَسُها
وِقايةً مِنْ سِهامِكِ النَّزِقَهْ

* * *

حَبيبـةٌ كالرَّبيـع ناعِمَــــةٌ
حانيـة كالنَّعيم مُرْتفِقَـــهْ
إنْ تَبْدُلى فالإغصارُ مُنْعَصِرٌ
والثَّلْجُ دِفْءٌ والنارُ مُنْخَنِقَهْ
أَتْرُكُنى كالسِّوارِ فى يَدِها
يُسْعِدنى أَنْ تظلَّ مُسْتَرِقَهْ
فَدَيْتُها أَنْ تَضيق ثانيـةً
أَذَبْتُها فى دِمائِىَ الدَّفِقَهْ

* * *

حَبِيبَةٌ كالمَصِيفِ حارقـةٌ
تَكْرَهُ فى الحُبِّ هَدْأَةَ الشَّفَقَهْ
تُريـدنى كالسُّيـول هادِرَةً
تُريدنى كالخُيول مُنْطَلِقَـهْ
ما أنتِ إلا شَيْطانةٌ خُلِقَتْ
خارجةً عَنْ طبائعِ العَلَقَهْ
سَيِّدتى ، هَوِّنِى على رَجُلٍ
يَكْرُبُه أنْ تُعَنِّتِي خُلُقَهْ

* * *

حَبيبَـةٌ كالَخريـف واقِفـةٌ
فى الحبِّ فَوْق الأَعْراف مُؤْتَلِقَهْ
لا ظلهُّا دائِمٌ ودَيْدَنُهـا
اَلمزجُ بَيْنَ العَواطِفِ الفَرِقَهْ(١٧)
أحبُّهـا تارةً وأكْرَهُهـا
تُخْرجُ منى كراهَةً ومِقَهْ
شَقَّتْ صُفُوفى فأَحْدَثَتْ خَوَراً
فى منطِقِى غير أنها لَبِقَهْ

* * *

حبائبى كالغَرِيْمَـةِ التَّئِقَـهْ
لكنّنى كالَمدينة المَئِقَـهْ
فكيفَ تَغْدو الطِّباعُ مُتّفِقَهْ(١٨)
لا غَرْوَ تبدو مَعِيشَتِى قَلِقَهْ

* * *

مِئْذَنَةٌ مِنْ عُهُودٍ (١٩)

ـ أُحبُّكَ ...

ـ ماذا ؟

أحقًّا تَقُولين ؟

كيفَ ؟

أما تَعْرِفين ؟

(أواهُ يا ثَوْرةً فى حَشاىْ

ويا رَجْفةً لِذَهابِ صِباىْ)

ـ أُحبُّكَ ...

ـ كُفِّى
(وأنتَ لماذا تُزَلْزِلُنى وتُخَذِّلُنى لا تُخَذِّلْ عَنّى ؟
أتسخَرُ منّى ؟
كَفَى لَيْس هذا يَلِيقُ
ولَسْتُ أُطيقُ)
ـ أُحِبُّكَ رَغْم رَحِيلِ الثُّريّا إلى الشّامِ
رَغْمَ مَصِيرِ سُهَيْلِ
وأنَّكَ وَيْلِى
نهارِى ولَيْلِي
ولابُدَّ مِن أَنْ تَثوبَ مَعِى

هَلْ تَغيبُ
وأنتَ الحَبِيبُ ؟!
ـ وماذا وماذا ؟
(تُرِيْدُ؟!
ولكنّنى لا أُريدُ أَبيدُ
أما شِمْتَ أَوْ ما شَمِمْتا
فَذِى « مَنْشِمُ »[٢٠] الأَيِّمُ
ومِنْ زَمَنٍ أَعْلَمُ
فَفِى كُلِّ وَقْتٍ ورُكْنٍ لها آيَةٌ تُؤْلِمُ
وفى كُلِّ وَقْتٍ ورُكْنٍ لها صُورةٌ تُرْجَمُ
أَزيد ؟...)

أُحِبُّكَ راضيةً بالكَفافْ
تخافُ ولكنّنى لا أَخافْ
فأَنْتَ خِتامُ المَطافْ
دَعِينى ...
مُرِى نَسْجَ هذِى الطَّلاسِمِ أَنْ يَتَقَطَّع دُونى
فليسَ يكُفُّ عُيونى
وهذى الخَفافِيشُ هَلْ سَتُشِلّ نهارَ حَنِينى ؟!
دَعِينى
فَبَيْنى وبَيْنَكِ مِئْذَنَةٌ مِنْ عُهودٍ
وقافلةٌ مِنْ شُجُونٍ ...

* * *

(زيفتوفُ) وجارتُه الحَسْناءُ[٢١]

ـ سَمِعْتَ يا زِيفتوفُ[٢٢] أمْ ما الذى
أتى بك الآن إلى مَضْجَعِى ؟
كانوا هنا ، يا لَيْتَهُمْ أَخَّرُوا
أمّى وقادُونى إلى مَصْرَعِى
للّه أُمّى ، كرِهَتْ نَفْسها
تكادُ مّما لَقِيَتْ لا تَعِى
حَزِنْتَ لى يا جارِ ، لا بَأْسَ لى
فلا عَلَيْكَ الأنَ ، ربّى مَعِى

أَدْرِكْهُمُ لَنْ يتركونا ؛ فما
لظُلُماتِ الحِقْد مِنْ مَدْفَعِ
زِيفتوفُ ، ما زِلْتَ هُنا واقفاً !
أَسْرِعْ فأَدِّبْهم ولا تَرْجِعِ
مالك لا تَفْعَلُ ، إِنَّ الذى
عَلَّمْتُهُ إِيّـاك لَمْ يَنْفَـعِ
ما زلتَ طِفْلاً غافِلاً لا تَعِى
أنّ الرجالَ الشّمَّ فى المَعْمَعِ
زيفُتو ... ذِراعى ، دَعْ ثِيابى ، أَقَدْ
فَعَلْتَها يا نَذْلُ يا مُدَّعِى

أَيْنَ جِوارى أَيْنَ عطْفِى وأَيْن
رِفْقُ أُمّى وأَبِى الخُضَّعِ
ـ حَسناءُ ما رأْيُكِ ؟ هَلْ أعجبَتْكِ
خِبْرَتِي ؟ خُذِى ولا تَشْبَعِي
يا طالما فَتَنْتِنِى ثُمّ لَمْ
أَجِدْ شِفاءً للهَوَى المُوْجِعِ
حتّى إِذا ما ثار قَوْمِي أَنَى
لِشَوْقِيَ المَحْبُوسِ أَنْ يَرْتَعِى
ـ وَيْلَكَ يا زِيفْتُ وَوَيْلِي إِذا
نَجَوْتَ مِنْ نابِى ومِنْ إِصْبَعِي
لَيْسَ لِجارِى جَارةٌ ، كَيْفَ لى
بِمَنْ إِذا ما جارَ لَمْ يَخْدَعِ ؟!

* * *

سُــوقٌ[٢٣]

عِنْدما ينفُضُ النعيمُ يدَيْـه
مِنْ خبيثٍ يُخْنِى عليه العَفاءُ[٢٤]
لا تراه إلا ذَليلاً ، وقد كان عَزيزاً
أَعــــزَّهُ الإِثْـــــراءُ
يشترى العِلْمَ والمكانَة والأَخْلاق صِرْفاً
يأتى بهنّ العَطـــــــاءُ
فى زَمانِ الكُرُوش عَزَّتْ قُروشٌ
وتمنَّتْ ، وما تمنَّتْ قَضاءُ

* * *

- تشتهى الفِقْهَ ؟ هاتِ أَلْفاً وخُذْه
ما حياةُ الفَقيهِ ؟ داءٌعَياءُ
ربّما تَشْتَهى الوَزارَة لكنْ
أَحْسِنِ الرَّسْمَ فالدُّعاءُ عَداء
لا تفكِّرْ فى (كَمْ دَفَعْتُ) تذكَّرْ
أنّ داء الخُصوم كِرْشٌ خَواءُ
وإذا ما اشْتَهَيْتَ خُلْقاً كَريماً
فَبِقِرْشٍ ، فأَىُّ خُلْقٍ هُراءُ
أَيُّها الأَخْبَثُ الذَّليلُ ، أَتَنْسَى
كيف كانَ البناءُ والإعْلاءُ ؟!

* * *

تَبتغِى المَطْعَمَ الهَنِىَّ ؟ تَجَمَّعْ
طَأْطِىءِ الرَّأْسَ ، فالعَطاءُ جَزاءُ
ـ كانَ مَنْ أَرْتَجِى يسبِّحُ باسْمِى
أينَ ذاكَ التَّسْبيحُ والإِطْراءُ
ـ تبتغى المَشْرَبَ الرَّوِىَّ ؟ تَذَلَّلْ
قَبِّلِ النَّعْلَ ، فالشَّماتَةُ داءُ
ـ كانَ مَنْ أَرْتَجى عَبِيداً للَحْظِى
قَبْلَ لَفظِى ، فكَيْفَ بالكَيْدِ جاءُوا ؟
ـ مثلَما تَشْتَرِى تبيعُ ولكِنْ
آخِرُ البَيْعِ صَفْقَةٌ نَكْراءُ ...

* * *

مِنْ تَكاذِيبِ الأَعْرابِ[٢٥]

حدثنا مَوْلانا أبو مِذْوَدٍ قال : زَعَمت الأعراب أن الأَحْرُفَ اعْتركَتْ ! قلنا : وكيف كان اعْتِراكها ؟ قال : حدثونا قالوا :

الحرفُ الأول قال . والحرف الثانى صال . والحرف الثالث لا قال ولا صال . ولكن نال . هذا الحرفَ حكيم . يعرف كيف يُدارى القائل والصائل . ليظفر بالنائل . عرف الحرفان المختولان سُمُوَّ الثالث فى فنِّ الحِكمه . كان الحرف الثالث يُلْقى درساً بعد صلاة الفجر بزاويةٍ للأَصْوات المَجْهورَه . دخل الحرفان الزَّاوية على غَفْله . خُفْيه . عَرَفَهُما شيخُ الحلقه . شيخُ الحلقة يَعْرِفُ بالكَشْف . ما لا يُعْرَفُ بالوَصْف . وقف الشيخ على غَيْر العادةِ قال : مَنْ منكم يَعْرِف (وَقْعَة حَرْفَيْن) ؟ قالوا : حَدِّثْنا يا مولانا ما (وَقْعَةُ حَرْفَيْن) ؟ قال :

قافٌ وكافٌ يُكْثِرانِ الشَّغَبْ
كلاهُما قَدْ جاز حَدَّ الأَدَبْ
كُلًّا تراهُ نافِشاً ريشَهُ
كأنّه إنْسانُ عَيْنِ الكُتُبْ
يقول هذا : الكُتْبُ مِنْ صُحْبَتِى
مَنْ يَصْحَبِ الكُتْبَ فما يَغْتَرِبْ
يقول ذاك : القَلَمُ المُرْتَجَى
وهْو خَدينى ، فى صِفاتى رَغِبْ
فكَهْكَهَ الكافُ لأَنَّ الذى
قد ادّعاه القافُ عَيْنُ الكَذِب

فَقَهْقَهَ القافُ لأنّ الذى
قد ادّعاهُ الكافُ زَيْفُ الحِقَبْ
فَأَقْذَعَ الكافُ : أَمَا تَستَحِى
يا وَصْمَةَ البَذْو بلَفْظِ العَرَبْ
فجادلَ القافُ : أأَنْ ضامَنى
أَهْلُ زَمانى أَسْتحقُّ السُّبَبْ
غفراً لهم قَدْ هدّمُوا مَنْزِلى
وما رَعَوْا عَزيزَ قَوْمٍ نُكِبْ
أزمانَ أَحْيا مُنْيـةً للأُلى
يُفَخِّمون اللفظَ زَيْنَ الخُطَب

يا أيُّها القَزْمُ الذى سبّنى
يكفيك طُولا أنْ تَعيبَ الهِضَبْ
فكرّر الكافُ الذى قاله
وزاد بَطْشاً ببقايا الأَدَبْ
فقَرّر القافُ الذى قاله
وزاد فتحاً لطريق الغَلَبْ
فكرّ حرفُ الكافِ لا يَرْعوى
عَنْ كَسْرِ أُنْف القافِ هذا الخَرِب
فقَعْقَعَ القافُ لِقَطْع الذى
أهانَه وهْو المَكِيْنُ النَّسَبْ

* * *

حرفان صارا ضُحْكةً للأُلَى
قد أَشْعلوها ومَضَوْا مِنْ كَثَبْ
فَمَنْ رأى أَيَّهما فلْيَقُلْ
تبَّتْ يدا مَنْ خانَ حرفاً وتَبّ

فأَسْرع هذان الحرفان إلى الشَّيخ بصَدْرِ الحَلْقَةِ قَبَّلَ كُلُّ يده يطلُبُ دَعْوتَه يبكى غَفْلَتَه يُعْلِنُ تَوْبته . فتوجَّه شيخُ الحَلْقَةِ تِلقاءَ القِبْلةِ صاح : اللّهمّ اغْفِرْ لهما . أَلِّفْ بينهما . أَحْسِنْ نُطْقَ النّاطقِ لهما . اللهُم قِنَا هَمْسَ المَجهور وجَهْرَ المَهْموس ولا تَفْتِنّا بعد ذَهابِ الفُصحاء . اللهمّ اقْبَلْ مِنْ عبدك حَرْفِ الرَّاءِ) .

ثم قال أبو مذود : قاتَلَ اللّهُ الأَعْراب ما أَصْدَق تَكاذِيبهمْ !

اخْتيــالٌ (٢٦)

[مَنْ ولِي
فى أُمَّةٍ أَمْراً وَلَمْ يَعْدِلِ
يُعْزَلِ]

ابن ماء السماء

مَقْتَلِى
هَلِّلِ
وَسَبِّح اللهَ فَكَمْ مِنْ وَلي
لَمْ يَلِ
إلا خَبالَ القَزَمِ الأَرْذَلِ

* * *

مالَكَ لا تَذْكُرُ يا إمّعَهْ
مَعِى تمنَّيتَ العُلا أَمْ مَعَهْ
أكانَ عَهْداً ذاك أَمْ جَعْجَعَهْ(٢٧)
أمْ ماتَ ما فاتَ فلنْ تَتْبَعَهْ
وَلْوِلِي
يا سُورة المَجْدِ ولا تَخْجَلِي
وافْعَلِي
ما يأْمُرُ الذُّلُّ فَلَنْ تُعْذَلِي

* * *

آهٍ ! وهذِى آهَةٌ مِنْ دَمِى
كآهةِ الوَلْهَى على ابْنِ عَمِ
لَيْس لها إلّاه مِنْ قَيِّمِ
ولا لَهُ مِنْ مَلْجإٍ أَرْأَمِ
كَيْفَ لِي
بصاحِبٍ كالحَجَرِ المُرْسَلِ
مُشْعَلِ
يَفْضَحُ زَيْفَ الوَثَنِ المُعْتَلِى

* * *

تُرى ظَنَنْتَ اللهَ لَمْ يَصْطَفِ
فى الأَرْضِ إلاكَ ولَمْ يُعْرَفِ
بالَخْيرِ غَيْرُ المُلْهَمِ المُخْتَفِى ؟
فإنّ فى ظَنِّكَ مَا يَنْتَفِى !
جَلْجِلِي
يا ثَوْرَةَ المَسْتُورِ ثُمَّ انْجَلِي
واجْتَلِى
مَلامحَ المُضَلَّلينَ اجْتَلِي

* * *

هذى يَدِى وتِلْكَ كَفُّ الوَهَنْ
فاخترْ فهذا آخُرِ المُدَّهَنْ[28]
أما رَغِبْتَ فى فكَاكِ الرُّهُنْ
يا صاحِبى بنا يَسيُر الزَّمَنْ
فاجْهَلِ
واحتلْ لقَوْلِ الشَّاعِرِ الأَوَّلِ
مَنْ وَلِيِ
فى أُمَّةٍ غَصْباً وَلَمْ يُقْبَلِ
يُقْتَلِ ..!

* * *

حُـبٌّ ! [٢٩]

صَخْـرَةٌ صَمّـاءُ تُقْعِى
فَوْقَ نَبْتٍ لَمْ يشِبّ
رأسُه فى وَهْمهـــــا
أضعَفُ من ظهرِ الحَبَبْ
عقـدَتْ صَفْقَـةَ غَبْـنٍ
معـــــه دُونَ عَتَبْ
إنّهـا تَحْمِيـه مـن قَيْظٍ
وَمِـنْ بطْشِ النُّـوَبْ[٣٠]

وهْـى لا تطـلُبُ منــه
غيــرَ ليـــنٍ وأَدَبْ
هكذا تبتكر الصَّخْـرَةُ
أَسبـــاب العَجَـــبْ
هكـذا تنتـزع الصَّخْـرَةُ
مكْنـــونَ الـــرِّيَبْ
هكـذا تَشْترعُ الصَّخْرة
أَشْكـــالَ الـــنَّسَبْ
رَغْبَـةُ النَّـــبْتِ مَشاعٌ
ومتى النَّبْتُ رَغِبْ ؟!

لِينُــهُ يبــدو قَبــولاً
وهو عند الصَّخْر حُبّ
آهِ يـا صخـرةُ صَبْـراً
وستَدْريــنَ الغَــلَبْ !
جاءه الغَيْثُ هطَـولاً
وإلى الجَــذْرِ رَسَبْ
جَذَب البُرْعُـمَ جَذْبـاً
عَنْتريًّــا فانْجــذَبْ
شاءَ أنْ يبنى حِلْفـاً
وكـذا الطيــنُ أَحَبّ

طلب الغيثُ يد الطِّينةِ ،
للنَّـــــــبْتِ خَطَبْ
نفذ النَّبْتُ إلى النُّور ،
على الأرض انـــتصَبْ
مارداً يخترق الجَـوَّ ،
إلى الشمسِ ذَهَبْ
وبحقـدٍ قَلَبَ الصَّخْـرَةَ
رأساً لعَـــــــقِبْ !

عَسْفٌ [٣١]

ـ هَلْ تَظنُّ الحَنينَ أَثَّر فِينا ؟
ـ ربّما ـ ما أراكَ إلا أَفِينا ![٣٢]
هلْ تُطيلُ النَّحيب تَنْظُرُ عَوْناً ؟
ـ ربّما ـ ما تُطيلُ إلّا مُجونا
هل تُعيد الكلامَ تبعثُ مَوْتَى ؟
ـ ربّما ـ ما تُعيدُ إلا جُنونا
ناعِمَ الظُّفْر ، من تُراك ، نبيٌّ ؟
أَهْلُ هذا الزَّمانِ لا يُؤمنونا

إنْ تكنْ هادياً فما أَنْتَ أَهْدى

مِنْ أَبينا وأَهلنا الأَوَّلينا

ـ سيّدى ، ما أردتُ غَبْنك حظاً

ما أنا بالذى يُشَرِّع دِينا

أنتَ عندى إرادةُ اللّهِ

أَنْ يَبْلُوَ قَوْماً لكى يُذلّ مَهينا

سيّدى أَنت قد أرادَكَ رَبّى

آيةً تسْجيشُ مَنْ يَفْهمونا

أنت عَلّمتنى طَريقةَ ربّى

كيفَ يَقْتادُ مَنْ بهِ يُلْحِدونا

قاسِيَ الظُّفرِ ، دُمْتَ سَيِّدَ قَوْمٍ

لا يروْنَ الطريقَ إلا عَمِينا

لا تَخَفْهُمْ ، إنْ قُمْتَ فيهم خَطِيباً :

إنّنى ربكُمْ ، لقالوا : أَمِينا !

فَصْلٌ وَغاياتٌ(٣٣)

أُولـى : وَأَتَيْتَ ...

فانفرجَتْ أساريرُ «الكَلامِ المستقيمِ»

اسْتَفْتَحتْ لُغة النحاةِ على حَديثِ الشِّعْرِ والشُّعراءْ ..... غايَة !

* * *

ثـانيــةً : وَأَتيتَ ...

تُوِّجَتِ (القَوافى)

تَوَّجَتْها تَفعِلاتُ البَيْتِ

فاختالَتْ بِقِيمتِها على وَقْعِ (العَرُوضِ)

وسَفَّهَتْ بِبَقِيَّةِ الأَجْزاء .... غاية !

* * *

ثـالثـةٌ : وَأَتَيْتَ ...

فاسْتَعْلى الصُّوَيْتُ

وصار صَوْتاً

صارَ أُغْنِيَةَ الكلامِ المُستَمِيلَةَ

فاستمالَ دِلالةَ التَّرْكِيبِ

تَيَّمها بِمَظْهَرِه المُنَغَّمِ

طَلَّقَتْ بَيْتَ الكَلام الغَثِّ

أَبْغَضَتِ التّراكِيبَ المُعادةَ

عاشَرَتْ بَيْتَ الغِناءْ .... غاية !

* * *

رابعــةٌ : وَأَتَيْتَ ...

فاسْتحيا العَروضيُّونَ

عادوا يَستَقُونَ الشَّهْدَ مِنْ بَحْرِ الخَليلِ الضَّخْمِ

فاعْتَرَفُوا بذَنْبِهِمُ

فَسُحْقاً لِلْغَبَاءْ .... غاية !

* * *

خامِسَةٌ : وَأَتَيْتَ ...

فاصطلحَتْ حرُوفُ الضَّاد والظاءِ المُفَخَّمَةُ العَلِيَّةُ
بعدما جارَتْ عليها لَجْلَجاتُ العِيِّ فى زَمَنِ الفَهاهَةِ والفَدامةِ
فاسْتَنَرتَ الكَعْبَةَ العُظْمى
وَحَدَّدْتَ الحُدودَ بتُحْفَةِ « الدانى »
فَأَدنَيْتَ الفَصاحَةَ هذِهِ الشَّمّاءْ .... غاية !

* * *

سادسةٌ : وَأَتَيْتَ ...

فاتّضَحَ الغُموضُ
اسْتَعْلَنَتْ لُغةُ العَرُوضِ وَأَعْلَنَتْ :
لَوْ لَمْ أُؤَمِّلْ فى المُدَوِّرِ حِكْمَةً لَهَجَرْتُهُ
وَوَأَدْتُ نَفْسِى بَيْنَ طىِّ النَّثْرِ
ولْتَذْهَبْ بُحورُ الشِّعْرِ دُونى حَيْثُما شاءَتْ
فَقَدْ بَرِحَ الخَفاءْ .... غاية !

* * *

سابعَـةٌ : فَأَتَيْتُ ساحَتَكَ الفَسيحةَ
في يدى قَلَمٌ بلا حِبْرٍ
لسانٌ كالطَّرِيقِ الوَعْرِ
فَهْمٌ لَيْس تَكْفِيه الإشارةُ
فاحتملْتَ العِبْءَ
لَمْ تَعْبَأْ بأَنَّ النَّحْتَ فى صَخْرٍ
كَرَقْمِ الماءْ .... غاية !

* * *

حَسْبِي ![٣٤]

أَفْديكَ يا عَمْرو بنَ مَعْدِى كَرِبْ
صَدَقْتَ سلْمى يومَ لَجَّ اللَّجَبْ[٣٥]
حَكَيتَ حقًّا كُنتَ أَلبَسْتَهُ
لِباسَ صِدْقٍ يومَ عُرْيِ الكَذِبْ
أما تخافُ الكَبْشَ بينَ الأُلَى
يَقُوْنَهُ ؟ لذاكَ عَيْنُ العَجَبْ
لو جاءَ قَوْمِى بينهم كَبْشُهُمْ
وَهَرَّ جَرْوٌ لاسْتَحَرَّ الهَرَبْ[٣٦]

ـ اَلْأَصْلُ أَنْ المُلْتَقـى قُوَّةٌ
ـ فى غَيْرِ قَوْمِى يا ابْنَ ذاتِ الحَسَبْ
فى غير شَىْءٍ يَنْقُضونَ العُرَى
مِنْ غَيْر شَىْءٍ يبدءونَ العَتَبْ
دع عنك قَوْمى ؛ شَرُّهُمْ شاهِدٌ
وخيرُهُمْ قد غابَ ، ما يُجتلَبْ
واذكُرْ زماناً وحَديثَ الأُلَى
حفُّوْكَ يَوْم الوَغَى بالقُضُبْ(٣٧)
ـ كانَتْ أُمور ما أَرى أَنّهـا
تكوُن لَوْلا أَنّها مِنْ كَتَبْ

تَدَرَّعَ الكُفّارُ واسْتلأَمُوا(٣٨)
وقَدّموا الأَفْيالَ ذاتَ الغَضَبْ
لا الخَيْلُ تَدْرى ، لا ، ولا أَهْلُها
صِراعَها وهْيَ تَطُولُ الهِضَبْ
رأيتُ قَوْمى وأَبا مِحْجَنٍ
فَرَوْا فَرِيًّا ، حُبَّ ذاك الأَرَبْ(٣٩)
كيفَ تَرى الأَفْيال قَدْ أُثْكِلَتْ
أبصارها ؟ سَقْياً لذاك اللَّهَبْ
سهامُنا تُحِسُّ ما نَبْتَغِى
تكادُ تَغْنَى عَنْ قِسِيِّ الخَشَبْ

كيفَ وأَيْدى أَهْلِها نَوَّرَتْ
مِنْ دائِم التَّسْبِيح تأبَى النَّصَبْ
يا قومُ ، خَلُّوا عَنْ أَبِى مِحْجَنٍ
لَيْس من الجِنَّةِ ، بَلْ مِ العَرَبْ
عرفتُهُ صَمْصامُهُ عَبْـــدُهُ[٤٠]
يَسْبِقُهُ لِقَلْبِ مَنْ لم يَتُبْ
عرفتُـــه أَلفاظُـــه مِلْكُـــهُ
تَسبِقُه لكلِّ معنًـى أَحَبّ
ـ يا عَمْرُو ، حَسْبى ، لستُ مِنْ قَوْمِكُمْ
يَسْخَرُ مِنّى كلُّ هِرٍّ أَقَبّ[٤١]

أما ترانى وَهَنَتْ قُوّتى
مِنْ قَبْلِ أَنْ أَغْدُو طَوْرَ اللَّعِبْ ؟!
فكيف تحكى عن أبى مِحْجَنٍ
شيئاً لمِثْلى ، ليس هذا يجِبْ
ـ ألمْ تُرِدْ أخبار من حفّنى
يَوْمَ الوَغَى تهتزُّ منه القُضُبْ
ـ يا وَيْلَتا يا ربّ غَفْراً ، فما
يَعْرِفُنِى عمرُو بنُ معدِى كرِبْ
يا سيّدى الفَتّاكَ ، أبغى الأُلَى
حفُّوك كَىْ يَحملوا ذِى القُضُب
كى يحملوها ثُمّ يُعْطوكَها
كى تضربَ الضَّرْبَةَ ذاتَ النَّسَبْ
أُولاك مِثْلى ، بَلْ أُرى دُونَهُمْ
فلا تَغِظْنِى يا ابنَ مَعْدِى كرب !

كُتُبِيٌّ (٤٢)

الزوجُ يغْلُو والعَصا للفَرْدِ
وليس للمُفسد مثل اللَّحْدِ
شيطانُـه يأمُـــر دُونَ رَدٌّ
فى زَمَن السُّقوط والتَّرَدِّى
فى زَمَن الإغراء بالتّعـدّى
يا ضيعةَ العِلْم الذى نُؤدِّى
يغلبُه الرِّجْسُ فكيفَ يُجْدى ؟

* * *

وصاحبٍ ذكّرنى ابنَ رُشْد[٤٣]
لما ابْتَنى على الفَتاةِ الخَوْدِ[٤٤]
شدّتْ عليه الكُتُبُ أىّ شدٍّ
تصحبُ غيرى ياضعيفَ الوُدِّ
أنا التى ما كنتُ ذاتَ نِدٍّ
صَبْراً فقَدْ يثأرُ أَهْلُ المَجْدِ
لما انْتهى مِنْ كَلِماتِ العَقْدِ
وأَبْدتِ العِرسُ الذى لا تُبْدي
زَمْجَرَتِ الكتبُ بصَوْتِ الرَّعْدِ
يا أيها الخائنُ ، كَيْفَ عَهْدى ؟

سقياً لعَهْد كنتَ فيه عَبْدى
تُلحِفُ بى تطلبُ ما أُؤَدِّى
أدّيتُ ما عِندى فهَلْ تؤدّى ؟
أَحْرقتُ نَفْسى إن هَنِئْتَ بعدى !
وأقبلَتْ بينَ الفتى والخَوْد
مَشْىَ الهَلوكِ كَشَفَتْ للكيَدْ
[ضَنَّتْ بخَدٍّ وجَلَتْ عن خدِّ
ثم انثَنَتْ كالنَّفَسِ المُرْتَدِّ][٤٥]
مَنْ عِرْسُكَ الليلةَ يا ابنَ رُشْدِ ؟
عِرْسى (أَرسطو) ذو الكلام الفَرْدِ
كلامُه خَوْدِىَ أَىَّ خَوْدِ !

لُغوِىٌّ فِى مَجْلِس خِطْبَتِهِ[٤٦]

سألوا عَنْ وظيفتى قُلْتُ : إنّى
مُصْلحٌ ، آيَتِى تُنَبِّىءُ عَنّى
أَسْلُكُ الكِلْمَةَ الفَصيحة فى الجُمْلة
تبدو فى سِحْر ذاتِ الحُسْنِ
وأُبينُ الكلامَ يَنْشَرِحُ الصَّدْرُ
وينجابُ عَنْ طَرِيقَةِ فَنّى
فأجابوا : (مُزَيِّنٌ !) قلتُ : بَهْراً
كاتبٌ شاعرٌ حَديدُ الذِّهْنِ

* * *

ثم قالوا : وأَيْن تسكُنُ ؟
فاخْتلتُ قَليلاً ؛ ذكرتُ مُتْعةَ ظَعْنِى
بين طىٍّ (الكِتابِ) يَشْرَحُهُ
الأخفشُ بالبَصْرةِ انطويُت أُغَنِّى
و (معانى القُرْآن) لَمْلَمَنِى الفرّاءُ فِيه
مِنْ بعدما ضِعْتُ منّى
فأجابوا : (مُشتَّتٌ !) قلتُ : بَهْراً
طالبٌ راحِلٌ شَديدُ المَتْنِ

* * *

ثمّ قالوا : وكَمْ سَتَدْفَعُ ؟
فاحتلتُ كَثيراً ؛ فالحقُّ ما عادَ يُغْنِى
قلتُ : عِنْدى خَمْسونَ بيتاً قُدامَى
فَخُذُوْها فلَنْ تَعُودوا بغَبْنِ
ولْتُسامِـحْ يا سِيبويـهِ ، فَمـا
ذَنْبى ؛ فالمالُ حِينَ يُكْشَفُ يُدْنِى
فأَجابوا : (مُفَلِّسٌ !) قلتُ : بَهْراً
قابِسٌ صالحٌ خَبيرُ العَيْنِ !

* * *

رُقْيـةُ العَـزَب(٤٧)

وَبَعْدُ يا مَمْلَكَةَ الأَزْواجْ ،
نَرْميكم الآنَ بزَوْج يكْسِرُ النِّظامْ
يُعيدكم إلى الأَفْعالِ
يُبْعدكم عَن الكلامْ
قَدْ ضاقَ ذَرْعاً أنْ تظلوا تَسْمعونَ
كيفَ كان الأَوّلون يَفْعلونْ
وتَعْجبونْ
فإنْ أرادَ واحدٌ أنْ يَتْرُكَ الكلامْ
هبّ لتوِّهِ مُصَفقًا
وقال : يا سَلامْ !

قَدْ صار من مُجاهِدِى الأَزْواجْ
بـ (يا سَلَام)
أَنْجَبَ أَعْلامَ الرِّجالِ والنِّساءْ
بـ (يا سلامْ)
عَذَرْتُهُ فى هذه الأَيّام
فَقَدْ رأَيْتُ قادَةَ الكَلام
يرونَ أَنْ مَخْرَجَ الإِنْسانِ
مِنْ حَبائل الشَّيْطانْ
هُوَ السلامْ !

* * *

وبَعْدُ يا شِرْذِمَةَ الأَعْزابْ ،
فما لنا مُسْتَضْعَفِين هكذا بدَوْلَةِ الأَزْواج !
قَدْ يَجْلِسُ الواحدُ منّا بَيْنَهُمْ
بلا سلامٍ أَوْ كَلَامْ
يخافُ غَضْبَةً تَجِيءُ بَعْدَ مَزْحَةٍ لا يَرْتَضونَها
كأنّما الواحدُ منا لَمْ يزل بِرَوْضَةِ الأَطْفال
كأنّما الواحدُ منهم ناظرٌ لِرَوْضَةِ الأَطفال
ما هذه الأَحْوالْ ؟!
أَأَنْ رأَوْنا فى شقاءٍ دائِمٍ
وأنّنا فى وَحْدَةٍ ووحشَةٍ
وفى عُزُوبَةٍ مُزْمنةٍ

يُؤَنِّبوننا ؟
يَسْتعبدوننا ؟
أما يَرَوْنَ أنّنا نصلُحُ للزَّواج ؟
ما هكذا الأَزْواج ...
عَهْداً لأَرْجُزَنَّ رَجَزاً يُخيف (داخِلِيّةَ) الأَزْواجْ
يَثُورُ بالأَعْزابْ
ليَقْلِبُوا النِّظامْ
فى دَوْلة الأَزواج دولةِ الكَلامْ :

* * *

[يا مَنْ يَدُلُّ عَزَباً على عَزَبْ][48]

تقلَّبت حياتُـهُ بل انْقَــلَبْ
تراه تحسَبُ الذى يأتى ذَهَبْ
فكلُّ شَىْءٍ عنده مَحْضُ تَعَبْ
يا ربِّ ، ما يَبْدُو لما يَلْقَى سَبَبْ

* * *

[يا مَنْ يدلُّ عَزَباً على عَزَبْ]
قَدْ زُرتُ بَيْتَهُ فأَلْفَيْتُ العَجَبْ
هذِى كراسِى فَوْقَ بعضِها كُتُبْ
وذى مُلاءَةٌ سَرِيرها هَرَبْ
ستارَةٌ تَلْعَبٌ ، ما أَحْلَى اللَّعِبْ

* * *

[يا مَنْ يدلُّ عَزَباً على عَزَبْ]
وَعَدْتَنِى ولَمْ تَجِئْ فما السَّبَبْ
أَحْبَبْتُ أَنْ أَطْبُخَ يَوْماً ما يجِبْ
قَلَوْتُ ، لم يُفدْ ، سَلَقْتُ ، لم يَطِبْ
مالى وَقَدْ صَنَعْتُ كلَّ ما كُتِبْ

* * *

[يا مَنْ يدلُّ عَزَباً على عَزَبْ]
هذا السُّكُونُ فِتْنَةٌ لِذِى الأَرَبْ
لا طِفْلَ يَبكى يَبْتَغِى بَعْضَ لُعَبْ
لا زَوْجَةٌ تشكوكَ مِنْ غَيْرِ سَبَبْ
فَتَرتَضِى شَكاتها جَمَّ الأَدَبْ

* * *

[يا مَنْ يدلُّ عَزَباً على عَزَبْ]

على التى تَسُرُّهُ إذا رَغِبْ

تصونُه فى عِرْضها إذا ذَهَبْ

على التى تُرِيْحُهُ إذا تَعِبْ

تقبَلُه دَوْماً وإن قَلَّ النَّشَبْ (٤٩)

* * *

[يا مَنْ يدلُّ عَزَباً على عَزَبْ]
على التى يُكْرِمُها وإنْ غَضِبْ
فلا تخافُ عِنْده عَسْفَ النُّوَبْ
ولا تَظَلُّ تَصْطَلِى نارَ الرِّيَبْ
حياتُها حياتُـــهُ فلا عَجَبْ
[يا مَنْ يدلُّ عَزَباً على عَزَبْ]

الفَـرَزْدَقُ بَـيْنَ يَـدَيِ النَّـوارِ[٥٠]

لَفْظٌ صَغيرٌ ومعانٍ كِبـارْ
نُـورٌ ونـارْ
[ما اجْتَمَعا إِلّا لأَمْرٍ كُبارْ][٥١]

* * *

شككتُ بالشِّعْرِ ثِيابَ الظَّلامْ
فَأَيْقَظَ الفَجْرُ طَريقَ الغَرامْ
وَأَقْبَلَتْ تَسْعى نُفوسٌ كِرامْ
رائدُها مِنِّىَ مَعْنًى هُمامْ
سارَبها ، لكنَّ قَوْمى الشِّرَارْ
عُذْراً نَوارْ (٥٢)
لَمْ يَرْتَضُوا إلاّ طَريقَ العِثارْ

* * *

رَوَّيْتُهُمْ شِعْرى السَّليمَ الصُّدُورْ
أَفْهمتُهُمْ بَوْحيِ بمَعْنى الغُرُورْ
أَطْلَعْتُهُمْ طِلْعَ خَفايا الأُمُورْ(٥٣)
حتّى إذا ما غادرونى بُكُورْ
جاءُوكِ فاسْتَعْدوا عَلَىّ النَّهارْ
عُذْراً نَوار
لَمْ يَعْرِفوا ساكِنَ هذا الإزار

* * *

أَنا بمأْوَى القَلْب بَرٌّ رَحيمْ
يَعْرِفُنى أَهْلُ الهَوى مِنْ قَديمْ
كَيْفَ إِذَنْ تُنْكِرُ فَضْلى تَميمْ
تَأْكُلُنِى وَأَكْلُ مِثْلى ذَميمْ ؟
هلاّ انْتَهَوْا قَبْل بَوارِ الدِّيارْ !
عُذْراً نَوارْ
لَمْ يَلْحظوا إلا شُقُوقَ الإزارْ

* * *

مَهْلاً تَرَىْ كَيْفَ أَفُضُّ النِّقابْ
عَنّى وَعَنْهُمْ والجِهارُ العِقابْ
أَغَرَّهُمْ مِنّى انْسيابُ الحَبابْ(٥٤)
لَنْ يَجِدُوا غيْرِ كَشيشِ الحُباب(٥٥)
صَرَخْتُ والقَوْلُ كَلَوْكِ الجِمارْ :
غَدْراً نَوارْ
تَرَكْتِنِى لِقَوْلِهِمْ ، يالَثارْ !

بَيَــانٌ ..!

(١) من دعاء سيدنا أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، رحمه الله !.

(٢) (أبو مِذْوَدٍ) شيطانى المُبْتَدَعُ المُقارِنُنى منذ سنة ١٩٨٦م ، عالم أديب بليغ شاعر مُسْتَثْنىً !.

(٣) راجع (الأغانى) لسيدنا أبى الفرج الأصفهانى ، طبعة دار الشعب ، ٣٣٠٦/٩ .

(٤) مكتبتى ، سّميُتها بمجلسه ؛ فعنه أُكتب وأُنْطِقُ ، ولاغَرْو فالمِذْوَدُ اللسان ، قال سيدنا أبو عبد الرحمن حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه :

(لسانى وسَيْفِى صارمانِ كلاهما ويَبْلُغُ ما لا يَبْلُغُ السَّيْفُ مَذْوَدى)

راجع ديوانه بتحقيق الدكتور سيد حنفى ، طباعة دار المعارف ص ١٣٢ .

(٥) مهداة إلى الحبيب الدكتور زكريا سعيد (أبى يحيى) .

(٦) راجع (صَيْد الخاطِر) لسيدنا أبى الفرج ابن الجوزى ، بعناية الأستاذ محمد الغزالى ، طبعة دار التوفيق سنة ١٩٨٨م ، ص ٦٢ ، والبَيات الإيقاع بالعدوّ ليلاً بَغْتةً .

(٧) المَجْلى هنا المَظْهَرُ ، والكِفاتُ المَخْفَى !

(٨) مهداة إلى الدكتور عبد الله عزام رحمه الله !

(٩) ، (١٠) ، (١١) مهديات إلى (ف. س) علّها ترانى !

(١٢) ، (١٩) مرسلتان إلى بنت فَرْتَنَى ، علّها تزدجر ! و (فَرْتَنَى) اللئيمة أو الفاجرة أو الدنيا ، فكيف إذن يكون بنوها وبناتها !

(١٣) صَممتُهُ أى صَمِمتْ عَنْه .

(١٤) خُنِقْتُهُ أى خُنِقْتُ به .

(١٥) مهداة إلى الحبيب الشاعر الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم (أبى همام) .

(١٦) راجع (وحى القلم) لسيدنا أبى محمد مصطفى صادق الرافعى ، طبعة دار المعارف ١٧٢/١ بعناية الأستاذ العريان .

(١٧) الفرقة : المفترقة .

(١٨) من مَثَلِ العرب : (أَنْتَ تَئِقٌ وأنا مَئِقٌ فمتى نَتّفقُ ؟) أى أنت ضرّارٌ وأنا بكّاء فلسنا نتفق .

(٢٠) (مَنْشِمُ) امرأة قديمة مشئومة ، عطرت قوماً فهلكوا جميعاً ، فصارت فيه مثلاً !

(٢١) ، (٢٣) ، (٢٦) ، (٢٩) ، (٣١) مرسلات إلى ابن فرتنى ، علّه يزدجر !

(٢٢) (زيفتوف) اسم راعيت فى ابتكاره مشابهته لطائفة المسمى ، وأن يحمل دلالة عربية آتية من تركيب (زيف) و (تف) الكريهين !

(٢٤) كناية عن هلاكه .

(٢٥) مهداة إلى سيدنا أبى العباس أحمد بن يحيى شيخ الكوفة ، رحمه الله !

قال أبو براء : حضرت عصر الجمعة ١٩٩٢/١/١٠م مجلس أبى فهر محمود محمد شاكر ، وكان حاضره بعض العلماء ، غير أنهم استأذنوه فى الخروج ، أما أنا فقد كنت جسوراً على المكث والحوار ، رغبة فى أن يصرّف الشيخ لسانه كيف شاء . وكنت قد علمت خبر إنْشاده بعض شعره ، فنشدته مُسَجَّلَهُ ففجأنى سؤاله عمن أَخْبَرَنى ، فقلتُ : محمود إبراهيم الرضوانى ، فَصَمَتَ ، فأقدمت على أن قلت له : هل لى أن أشترط عليك أن أسمعك إنشاداً يعجبك فتهبنى ذلك

المسجَّل ، فنصنع « مقايضة » ؟ فأغضبته الكلمة والطريقة وسخر من (تفاهة) شباب هذا الزمن ... ثم قال : أَنْشِدْ إذا أردت دون هذه المقدمة ، فطلبت نسخته من كتابه (أبا طيل وأسمار) لأنشده منه قَوْلَ الشريف الرضى : (ما أَسْرَعَ الأَيَّامَ فى طَيِّنا) الذى أحبه فذكره فيه ، فأبى وقال : قُلْ مما تحفظ ، ولكن يبدو أنك لا تحفظ شيئاً ، فقلت له : لقد كنت أحفظ القصيدة لا أعبأ بإربائها على المائة ، قال : فأين هذا ؟ فقلت : إنما أخشى ألا آتى بالأبيات مرتبة ، فقال : قل عشرة أبيات فقط ...

فقال الأستاذ محمد أشرف مبروك ـ صاحِبِى الحبيب الذى كان بجانبى ـ هذا امتحان لك ! فقلت لأَبِى فهر : أنشدك شعراً حديثاً . فقال ساخراً : من مثل شِعْر صلاح عبد الصبور ؟! قلت : بل هو شعر من المنسرح بحراً ، والمتراكب قافية ، والقاف رويًّا ، والهاء وصلاً ! فأذن لى ، فأنشدته قصيدتى (قلقة) السابقة ، فقال : لمن هذا الشعر ؟ فسبق إلى جوابه ابن أخيه الأستاذ الكاتب الأديب عبد الرحمن شاكر : للأستاذ محمد طبعاً ! ـ يعنينى ـ فقلت : هولى . قال أبو فهر : لهذا تُمَثِّلُه ! فابتسمت وابتسم الحاضرون وكان فيهم الأستاذ محمود فخر والأستاذ محمود الرضوانى صديقنا الحبيب .

ثم أنشدت الشيخ قصيدتى هذه (من تكاذيب الأعراب) وكانت (أكاذيب) فقال لى : إنما يقولون : تكاذيب ، وقد جعلتها بَعْدُ كما قال ، حتى إذا ما انتهيت سألته رأيه فى الشعر فقال : لا بأس ، ويكفى أنه خلا من (خُنُوثَةِ) شعر اليوم ، وفى الإنشاد فقال : لا بأس ، ولكن دع التمثيل ! ثم مكثت وقتاً استأذنت بعده فى الخروج فأذن فودعته وقد أظهر احتفاءه بى قائلاً : زُرْنا نَسْمَعْ شعرك (البايخ) !

وقد كانت كلمته هذه (إجازة) لى ـ كما قال الدكتور محمد حماسة ـ كتلك الإجازات التى عرفناها فى تاريخنا العزيز . وصحبنى إلى المصعد الأستاذ محمود فخر ، وقال لى إنه يرانى شبيهاً لمحمود حسن إسماعيل ، وكان الأستاذ عبد الرحمن

شاكر قد نصحنى أن أتعاون أنا والشعراء المجيدون على إغراق شعارير العصر قائلا : إنه لن يقضى عليهم إلا كثرتكم ، فما ظهروا إلا لفراغ الساحة . ثم ذهبت طائر الفرح ؛ لقد أجازنى واحد هذا الزّمان أبو فهر محمود محمد شاكر !

(٢٧) الجعجعة هنا صخب الصوت بلا فوت ، من مثل العرب : (جَعْجَعةً ولا طِحْناً) .

(٢٨) آخر المدهن أى آخر طريق المداهنة .

(٣٠) النُّوَبُ المصائب .

(٣٢) الأفين الأحمق .

(٣٣) هى فى حب الدكتور أحمد كشك ، أستاذى فى الماجستير والدكتوراه ، قلتها فى احتفالنا بحصوله على (الأُسْتاذيّة) .

(٣٤) مهداة إلى حشاشة روح عزيزة ، حميتُها حتى كلامها ، علّها ترضى !

قال أبو براء : سيدنا أبو ثور عمرو بن معدى كرب الزبيدى ـ رضى الله عنه ـ شاعِرٌ ، فارس اليمن ، مقدم على زيد الخيل فى الشدة والبأس ، شهد القادسية وهو ابن مائة وست وستين ، وقال بعض من حضرها إن المسلمين حذروه أسواراً من أساورة الفُرْس الصناديد ، فهم به عمرو فذبحه ، ثم أقبل يقاسم صاحبته بهجته مُغَنّياً :

(أَلِمْ بسَلْمى قَبْلَ أَنْ تَظْعَنا ... إنّ لنا مِنْ حُبِّها دَيْدنا
قَدْ عَلِمَتْ سَلْمى وجاراتُها ... ما قَطَّرَ الفارسَ إلا أنــا
شكَكْتُ بالرُّمح حيازيمَهُ ... والخَيْلُ تَعْدُو زيَماً بَيْننا)

راجع (الأغانى) ١٥/٥٥٣٤ ، وقد أَجَبْتُهُ بهذه القصيدة التى خرجت من وزن ما قال ، عَفْواً ، ولولا ذكره (سَلْمى) لذكرتُ (لُبْنَى) .

(٣٥) لجّ اللجب هنا أى حمى وطيس الحرب .

(٣٦) أى لو نبح كلب صغير لعمهم الجبن فهربوا .

(٣٧) أى حفوك فى الحرب بسيوفهم .

(٣٨) أى لبسوا لَأْمة الحرب وهى لباسها وعدتها .

(٣٩) أى صنعوا عجباً من العجب ، وهى كلمة قديمة قالها رسولنا صلى الله عليه وسلم فى سيدنا أبى حفص عمر رضى الله عنه ! قال أبو براء : وسيدنا أبو محجن عبد الله بن حُبَيِّب ، شاعر فارس شجاع معدود فى أولى البأس والنجدة ، كان محبوساً آنئذ فاحتال حتى أُطلِق ، ثم احتال حتى دَبّ على فَرَس أمير الحرب ـ رضى الله عن الأمير والفارس والفرس ! ـ فَبَدَر أَمامَ الناس فَحَمل على القوم يلعَبُ بين الصَّفّيْن بُرمْحه وسلاحه ، وكان يقصِفُ الناس ـ قالوا ـ قَصفاً منكراً حتى كاد يُظَنّ مَلَكاً . راجع (الأغانى) ٢١/٧٢٢٩ .

(٤٠) صمصامه سيفه .

(٤١) أى كل قط هَزِيل ضعيف .

(٤٢) مهداة إلى الأستاذ محمد أبو خليفة .

(٤٣) حكوا عن ابن رشد الفيلسوف شارح أرسطو ، أنه لم يدع كتبه غير لَيْلَتَىْ عُرْسه ووفاة أبيه ، وقد تصرفت فيما حكوا .

(٤٤) الخَوْد الشابة والناعمة .

(٤٥) البيتان لسيدنا أبى معاذ بشار بن برد ، من أرجوزته الشامخة المشهورة ، وكذا نظر مطلع أرجوزتى إلى بعض ما قاله فى تحفته .

(٤٦) مهداة إلى ابن (دار العلوم المحروسة) الذى يكون الدكتور طارق المليجى والأستاذ الفارس محمد عثمان مرةً ، والأستاذين عبد السلام حامد وفرحان المطيرى أخرى !

(٤٧) مهداة إلى الدكتور محمد عبد الدايم الرفاعى ، والعزب من لا زوج له رجلا كان أو امرأة . هى رُقْية مُجَرَّبَةٌ ، من كررها مراراً خالياً ليلاً أوشك أن يتزوج أو أن يجنّ !

(٤٨) هذا المطلع قديم لا أعرف له صاحباً إلا أن يكون جنيًّا عَزَباً مسكيناً !

(٤٩) النشب المال .

(٥٠) مهداة إلى ثلاثة الألحان ، الشعراء العلماء الدكاترة أحمد درويش ومحمد حماسة وحامد طاهر .

(٥١) هذا الجزء لسيدنا أبى جعفر الأعمى التُّطَيْلى الوشاح الأشهر .

(٥٢) كان سيدنا أبو فراس الفرزدق طلق زوجه النوار بعدما ألحّت ودفعته إلى طلاقها دَفْعاً ، ثم نَدِمَ ولاتَ ساعةَ مَنْدم فقال :

(نَدِمْتُ نَدامةَ الكُسَعِيِّ لمّا ... غَدَتْ منّى مُطَلَّقةً نَوارُ
ولَوْ أنّى مَلَكْتُ يدى وقَلْبى ... لكان علىّ للقَدَرِ الخِيارُ
وكانَتْ جَنّتى فَخَرَجْتُ مِنْها ... كآدَمَ حِيْنَ أَخْرَجَهُ الضِّرارُ
وكُنْتُ كفاقِىءٍ عَيْنَيْهِ عَمْداً ... فأَصْبَحَ ما يُضِىءُ له النَّهارُ)

راجع (الأغانى) ٨٥٣٩/٢٥ .

قال أبو براء : والكسعى نادم قديم مشهور ، به يضرب المثل فى الندم .

(٥٣) من مثل العرب (أَطْلَعْتُهُ طِلْعَ عُجَرِى وبُجَرى) أى كشفت له أمرى .

(٥٤) هى فقاقيع الشّراب ، تنساب على سطحه .

(٥٥) هى الأفعى ، وكشيشها صوتها من جلدها لامن فيها .

فهـــرس

القصيدة	رقم الصفحة
مِنْ بَوْحِ الرَّبيعِ بنِ خَيْثَمِ	٥
تَرْجَمَةٌ لِعَاشِقٍ مِنْ عُشّاقِ (لُبْنَى)	٧
ثَوْرَةٌ	١٣
مُكْحُلَةٌ	١٦
احتراقانِ	١٨
عَوْرَةٌ	٢١
قَلِقَةٌ	٢٣
مِئْذَنَةٌ مِنْ عُهُودٍ	٣٠
(زِيفتوفُ) وجارتُهُ الحسناء	٣٤
سُوقٌ	٣٧
مِنْ تَكاذيبِ الأَعْراب	٤٠
احتيالٌ	٤٥
حُبٌّ	٥٠
عَسْف	٥٤
فَصْلٌ وغاياتٌ	٥٦

القصيدة	رقم الصفحة
حَسْبى	٦٣
كُتُبِىٌّ	٦٨
لُغَوِىٌّ فى مَجْلِسِ خِطْبَتِهِ	٧١
رُقْيَةُ العَزَب	٧٤
الفرزدق بين يدى النَّوار	٨٤